الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: الأدب العربي الحديث والمعاصر
رمز المذكرة:.....

الموضوع:

الأنا والآخر في رواية قدس الله سري
لمحمد الأمين بن الربيع

إعداد الطالب (ة) :
بلعابد سهير

إشراف:
أ.د. شريف بموسى عبد القادر

لجنة المناقشة		
أ.الدكتور	ساسي بدرية	رئيسا
أ.الدكتور	طيبي حرّة	ممتحنا
أ.الدكتور	شريف بموسى عبد القادر	مشرفا مقررا

العام الجامعي :1441-1442 هـ /2019- 2020م

شكر وعرفان

الحمد لله عز وجل الذي ألهمني الصبر و الثبات و أمدني بالقوة و العزم على مواصلة مشواري الدراسي و توفيقه لي في إنجاز هذا البحث، فنحمدك اللهم و نشكرك على نعمتك و فصلك ونسألك البر و التقوى، ومن العمل ما ترضى ويلام على حبيبه و خليله الامين عليه أفضل الصلاة و أزكى التسليم، أتقدم بجزيل الشكر و التقدير للأستاذ الفاضل ، لتفضله بالإشراف على هذا البحث وسعة صدره وعلى حرصه أن يكون هذا العمل في صورة كاملة لا يشوبه أي نقص، نسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء لإشرافه على هذا العمل البسيط، وعلى المجهودات التي بذلها من أجلي، و النصائح و التوجيهات السديدة التي كان يضعها نصب أعيني، وهي تتبع هذا البحث بكل اهتمام، جعل الله ذلك في ميزان حسناته يوم الدين، أتقدم بجزيل الشكر و خالص الامتنان إلى إدارة و أساتذة الكلية.

الإهداء

إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى

والدتي العزيزة

إلى من سعى وشقي لأنعم بالراحة والهناء الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح الذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر إلى

والدي العزيز

إلى بلسم روحي وحياتي الذي شاركني في عناء هذه المذكرة إلى

زوجي الغالي

إلى من سرنا سويا وارتشفت معهم كأس الصحبة والأخوة والصداقة وكان لي معهم أغلى الذكريات وأجمل اللحظات إلى

أخواتي الغاليات

إلى رمز الحنان إلى الأعزاء على قلبي إخوتي الأعزاء وسندي في الحياة

إلى من علموني حروف من ذهب وكلمات من درر وعبارات من اسمي وأجلى عبارات في العلم إلى من صاغوا لي من عملهم حروف ومن فكرهم منارة تنير لنا مسيرة العلم والنجاح إلى

أساتذتي الكرام

إلى كل من حملته ذاكرتي ولم تحمله مذكرتي إلى

هؤلاء أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع راجية

من المولى عز وجل أن يجد القبول والنجاح.

مقدمة

مـقــدمــة :

احتلّ موضوع الأنا والآخر مكانة مرموقة في الأدب، وتتحول هذه الثنائية من النطاق الأدبي إلى النطاق الاجتماعي الذي يصور عدة علاقات سائدة في مجتمعنا وما تحمله من معتقدات والكشف عن الاختلافات في العادات والتقاليد.

وقد حظيت ثنائية الأنا والآخر أهمية كبيرة باهتمام عدة روايات عربية وخاصة الجزائرية من بينها رواية " قدس الله سري " للكاتب محمد الأمين بن الربيع التي ساعدت على تقديم عدة نقاط حول موضوع الانا والآخر.

وقد وقع اختياري لعدة دوافع منها رغبتي في اختيار العنوان وفي دراسة أدب هذا الكاتب.

وتكمن إشكالية البحث في الطرح الآتي:

وما هي القضايا التي انبثقت عن علاقة " الأنا " الجزائري بالآخر " الفرنسي في رواية " قدس الله سري ".

وقد تفرعت هذه الإشكالية إلى عدة تساؤلات أهمها:

- هل أحدث صراع الأنا و الآخر أزمة للأنا الجزائري ؟

- كيف كانت علاقة الأنا الجزائري بالآخر الفرنسي في رواية " قدس الله سري "؟

و للإجابة عن هذه التساؤلات حاولت تقسيم بحثي هذا إلى مقدمة وثلاثة فصول و خاتمة، تناولت في الفصل الأول مفهوم الأنا و الآخر من الجانب اللغوي و الاصطلاحي و النفسي و الفلسفي وعلاقة هذين المصطلحين بثنائية الشرق و الغرب.

أما في الفصل الثاني فقد تطرقت إلى تقديم بعض النقاط التي يحتويها مضمون الرواية إضافة إلى إعطاء لمحة فنية عن الكاتب و رسمه لشخصيات الرواية، و يليه الفصل الثالث الذي تناولت فيه تجسيد حالة الأنا و الآخر في رواية " قدس الله سري " من الناحية النفسية و الاجتماعية.

أما الخاتمة فقد ضمنت فيها أهم النتائج التي خرج بها هذا البحث، إضافة إلى قائمة المصادر و المراجع و فهرس.

ومن أهم الصعوبات التي واجهتني في بحثي تمثّلت في قلة المصادر و المراجع التي تلم بالموضوع.

وفي الأخير أتقدم بشكري وامتناني لأستاذي الفاضل و المحترم الدكتور " شريف بموسى عبد القادر " الذي وجهني من كل النواحي و المجهودات التي بذلها لوصولي إلى نهاية هذا البحث فجزاه الله خيرا وجعل ذلك في ميزان حسناته.

الفصل الأول

مفهوم الأنا والآخر وثنائية الشرق والغرب

الفصل الأول: مفهوم الأنا و الآخر و ثنائية الشرق و الغرب.

1) مفهوم الأنا و الآخر

أ -مفهوم الأنا

- أولا: التعريف اللغوي
- ثانيا: التعريف الاصطلاحي
- ثالثا: التعريف النفسي
- رابعا: التعريف الفلسفي

ب – مفهوم الآخر

أولا: التعريف اللغوي

ثانيا: التعريف الاصطلاحي

ثالثا: التعريف الفلسفي

2) الأنا و الآخر و ثنائية الشرق و الغرب

الفصل الأول: مفهوم الأنا و الآخر و ثنائية الشرق و الغرب

1 – المبحث الأول: مفهوم الأنا و الآخر

لقد تعددت مفاهيم الأنا و الآخر و لهذا وجب تحديدها من حيث اللغة و الاصطلاح

أ – مفهوم الأنا:

أولا: التعريف اللغوي:

ففي لسان العرب يعرف الأنا على أنه: " اسم مكني و هو للمتكلم وحده و إنما يبنى على الفتح، فرقا بينه و بين أنّ حرف ناصب للفعل و الألف الأخيرة، إنما هي لبيان الحركة في الوقف " [1].

وفي منجد اللغة يعرف الأنا على أنه " اسم للمتكلم وحده لا تثنية له من لفظة، أما (إنّي) فتثنية (أنا)، و تشير نحن إلى (أنا جمعيٌ) فهي تصلح في التثنية و الجمع "[2].

وفي معجم الوسيط : " أنا ضمير رفع منفصل للمتكلم أو المتكلمة "[3].

ثانيا: التعريف الاصطلاحي:

و تتعدد كذلك تعريفات الأنا من الناحية الاصطلاحية ففي تعريف أحمد ياسين نجد أنّ: " الأنا هو ضمير متكلم قائم بذاته و لذاته، لا ينازعه أو يشاركه في ذاتيته و بصفته آخر فهو مستقل عن غيره، و إن كان منتجا له و ناتجا عن علاقته به و الأنا في هذه الحالة، متقلص في مساحته، مسكون بنزعته الفردية و قابع في مكانه، وزمانه ولكنه متوسع في علاقته بعلاقاته الأخرى و بها حركة وسكونا، ففي

[1] ابن منظور ، لسان العرب، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، مج 1، د س، ص 160.

[2] لويس معلوف ، المنجد في اللغة و الإعلام، " دار المشرق و المكتبة الشرقية، لبنان، ط 1، 1993م، ص 19، مادة

[3] معجم اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004، ص 58.

سردية الخطاب يبدو الأنا كامن في سياقات علائقية بالآخر (الضمير) في علاقات سياقية مع الأنا في الخطاب ذاته ".[4]

وورد الأنا كذلك بمعان عديدة مثل " الأنا النفساني (**Moi psychologique**) ، و الأنا الجسماني (**Moi physique**) و الأنا الاجتماعي (**Moi Social**).[5]

ثالثا: التعريف النفسي:

يرى المحلل النفسي النمساوي سيغموند فرويد أن " الأنا هو ذلك القسم من الهوّ الذي تعدل نتيجة تأثير العالم الخارجي فيه تأثيرا مباشرا بواسطة جهاز الإدراك الحسّي ".[6]

حيث أن الأنا يقوم بإشباع العديد من الغرائز التي يطلبها الهو بطريقة متحضرة يتقبلها العالم الخارجي.

و نجد تعريف آخر و هو أنّ " الأنا مركز الشعور و الإدراك و الحلم و البصيرة، فهو أنا و أنت و كيف أتعامل و تتعامل مع الآخرين ، و بالصورة التي أحافظ و تحافظ على احترامك و احترامي و قبولي لديهم، و الأنا هي الأفعال الإرادية التي تشرف على الجهاز الحركي ".[7]

أي أنّ الأنا هو المصدر الوحيد للشعور و الإدراك، وهو القادر على كيفية التعامل مع الآخرين.

و يعرف مصطلح الأنا في معجم مصطلحات علن النفس " يتمثل في بنية الجهاز النفسي مجموعة من الدوافع و الأفعال التي تهدف إلى تكييف جسم الإنسان مع الواقع، و مراقبة وصول الحوافز إلى الشعور و الحركة ".[8]

---

[4] أحمد ياسين السليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، سوريا، د- د- د – ت – ص 104.

[5] بسام بركة " معجم اللسانية، فرنسي، عربي منشورات جروس، باريس، ط1، 1985، ص 66.

[6] سيغموند فرويد، الأنا و الهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط-4، 1982، ص 38.

[7] بشرى كاظم الحوشان الشمري، علم النفس الشخصية، دار الفرقان، عمان، الأردن، 2007، ص 38-39.

[8] عبد المجيد سالمي، نور الدين خالد: معجم مصطلحات علم النفس، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، د ت – د- ط، ص 87.

رابعا: التعريف الفلسفي:

شغل تعريف مصطلح الأنا كذلك العديد من الفلاسفة إذ يرى إبراهيم مذكور أن الأنا مطابق لنفسه و من المستحيل أن نفصله عن أغراضه، و هو أساس الحساب و المسؤولية لدى الفرد و هو يقابل الغير في العديد من الحالات في قوله : " الأنا هو الذات التي ترد إليها أفعال الشعور جميعها وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية و هو دائما واحد و مطابق لنفسه، و ليس من اليسير فصله عن أعراضه و يقابل الغير و العالم الخارجي، و يحاول فرض نفسه على الآخرين و هو أساس الحساب و المسؤولية ".[9]

و قول كذلك ديكارت " أنا أفكر إذن أنا موجود ".[10]

أما نيتشه فقد قال " لا معرفة فوق إمكانية العقل أو خارجها معرفيا ووجوديا، و أصبحت الأنا المطلقة عنده هي مركز نظرية العلم ".[11]

فقد ضمن نيتشه الأنا إلى فلسفة العلم.

ب – مفهوم الآخر

أولا : التعريف اللغوي :

إن الآخر مختلف عن الذات و خارج عنها فيعرف في:

لسان العرب: " يعني غير : كقوله رجل آخر ، وثوب آخر و أصله أفعل من التأخّر، فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استقلت فأبدلت الثانية ألفا لسكونها و انفتاح الأولى قبلها ".[12]

* **معجم الوسيط:** " هو أحد الشيئين و يكون من جنس واحد ".[13]

[9] إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، معجم اللغة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، 1983، ص 23.

[10] أحمد ياسين السليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، سوريا، د ط، ت، ص 104.

[11] عباس يوسف الحداد: الأنا في الشعر الصوفي، ص 92.

[12] أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط 3، بيروت، لبنان، 2004، ص 151.

* **معجم النفائس:** " هو الأشد تأخرا في الفكر ثم أحرى مجرى غير و هو خاص ما تقدمه، فلو قلت: جائني رجل و آخر معه لم يكن الآخر إلا من جنس الرجل بغلاف، غير فإنها تقع المغايرة مطلقا في جنس أو صفة، و الجمع آخرون، و مؤنثه أخرى و أخرا تاج أخريات آخر "[14]

أي أن كلمة آخر تختلف في اللفظ في حال اختلاف الجنس كأن نقول لرجل و امرأة أخرى وفي الجمع نقول آخرون.

* **معجم الصحّاح** : " الآخر بفتح الخاء ، أحد الشيئين ، و آخر يؤنث و يجمع بغير من و بغير الإضافة نقول مررت برجل آخر و برجال آخر و آخرين و امرأة أخرى و نسوة آخر و تصغير أخرى أخيرى."[15]

و هذا التعريف جاء هو الآخر مشابه لتعريف معجم النفائس في أنّ مصطلح الآخر يختلف باختلاف الجنس في النطق.

* **في القرآن الكريم:** و قد وردت كلمة آخر في العديد من الآيات القرآنية:

- في قوله تعالى " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ".[16]

- وقوله أيضا " ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِين ".[17]

ثانيا: التعريف الاصطلاحي:

إن الآخر يقابل الأنا فأينما وجد الآخر وجد الأنا فيعرف الآخر على أنه: " الكلمة المزدوجة للكينونة الذاتية و تفويضها فيالآن نفسه و هو يتداخل و يتمرأى في سلسلة غير منتهية تبدا من أدق الإنشطارات

---

[13] إبراهيم مصطفى و آخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا، ص 09.

[14] أحمد أبو حاقة، معجم النفائس، دار النفائس، لبنان، د-ت، ص 19.

[15] الجوهري، معجم الصحاح، دار المعرفة، ط3، لبنان، 2008، ص 32- 33.

[16] سورة المائدة، الآية 27.

[17] سورة المؤمنون، الآية 14.

الذاتية في علاقة الذات بالذات عبر زمن شديد الضآلة، ولا تنتهي إلا بانتهاء الوجود البشري في الزمان و المكان ".[18]

ويعتبر الآخر " مجموع القيم و المبادئ الأساسية التي جاء بها الغرب الحضاري إضافة إلى التجربة التاريخية التي قامت بها شعوب العالم الغربي عموما، انطلاقا من تلك القيم و عملا باتجاه انزالها في الواقع الخارجي"[19]

أي أن الآخر هو الجهودات و التجارب التاريخية الغربية المثقفة التي تتحكم في الواقع.

وهو " بنية لغوية رمزية لا شعورية تساعد الذات على تحقيق وجودها ضمن علاقة جدلية بين الذات ومقابل لها هو من يطلق عليها (الآخر).[20]

والآخر الغربي يتميز بالثقافة في كل المجالات التي تجعله يسيطر على الآخرين، ونوضح ذلك من خلال القول:

" الغريب غير المألوف أو هو " غيري" بالنسبة للذات أو الثقافة ككل، بل أيضا كل ما يهدد الوحدة و الصفاء، و بهذه الخصائص امتد مفهوم " الغيرية " هذا إلى فضاءات مختلفة ".[21]

ويقول عبد القادر شرشار : أما مفهوم الآخر فهو عبارة عن مركب من السيمات الاجتماعية و النفسية و الفكرية و السلوكية التي ينسبها فرد أو جماعة ما إلى الآخرين ".[22]

[18] صلاح صالح، سرد الآخر(الأنا و الآخر عبر اللغة السردية)، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، 2003، ص 10.
[19] المرجع نفسه، ص 71.
[20] محمد الخيار، صورة الآخر في شعر المتنبي، نقد ثقافي، دار الفارس، ط 1، بيروت، لبنان، 2009، ص 21.
[21] ميجان الرويني، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، 2003، ص 10.
[22] عبد القادر شرشار، كتابة الآخر في الرواية العربية المعاصرة، ص 147.

ثالثا: التعريف الفلسفي:

يربط هيدغر الآخر بالسقوط إما أن يكون إيجابي أو سلبي، فهو إيجابي فلأن " بغيره ما كان يمكن وجودي أن يكتشف لنفسه ولولاه لظل وجودي في إمكانات الوجود لا نهاية لها، أي أن سقوطي هو الذي حددني وبتحددي تحقق وجودي العيني".[23]

فهو يقصد هنا كينونته و تحقيقها التي لم تتم بمعزل عن معرفة الآخر.

" فالآخر يدخل عنصرا مقوما في صميم وجود الأنا و ما هيتها، و الأنا بذلك لا تكون إلاّ من خلال توقفها على الآخر و استقلالها عنه في وقت واحد ".[24]

ويقول جون بول سارتر : " الآخر هو الغير، أي الأنا ليس هو أنا ندرك إذا هنا سلبا من حيث هو بنية مكونة الآخر ككائن فالفرضي المسبقة المشتركة بين المثالية و الواقعية، هي أن السلب المكون هو سلب خارجا في الآخر ليس أنا، وأنا ليس هو ".[25]

يعني أن الأنا ليس هو الآخر و الآخر ليس الأنا بل الآخر هو الغير.

كما يرى عبد الرحمن بدوي أن الآخر هو:

" صفة كل ما هو غير أنا، وفكرة الآخر بمعنى غير أنا مقولة إبستمولوجية ملخصها الاقرار بوجود خارج الذات العارفة أي كينونات موضوعية".[26]

[23] عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، ص 85-86.

[24] محمود رجب: المرأة و الفلسفة، حوليات كلية الأداب، الحولية الثانية، جامعة الكويت، د- ط، 1981، 07.

[25] جون بول سارتر، الكينونة و العدم (بحث في الأنطروبولوجيا الفنمولوجية)، تر نقولا تيني، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1ن بيروت لبنان، 2009ن ص 322.

[26] عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، مج، المؤسسة العربية، مصر، ط1، 1984، ص 13 مادة (آخر)

و الآخر: " ليس كائنا نصادفه فيهددنا أو يريد أن يستولي علينا، و هو إذا كان عصيا على سلطتنا، فهذا لا يعني أن يمثل سلطة أكبر من سلطتنا، أنه الأخرية التي تصنع كل سلطة و إن غموضه هو الذي يكون غيرته ".[27]

هذا يعني أن الآخر يكون غموضه فعندما يكون الشخص مثلا غامض لا نعرف عليه شيء نقول هذا آخر، كما أنه لا يستطيع أن يتحكم فينا و يتسلط علينا كما يرى إيمانويل ليفانس.

المبحث الثاني: الأنا و الآخر و ثنائية الشرق و الغرب

في تحديد مفهوم الشرق و الغرب نجد أن المصطلحان قد اختلفا من فترة إلى أخرى:

" **فالشرق** في القديم كان يعني تلك البقعة الممتدة على ساحة واسعة من آسيا و قسما من إفريقيا بما فيها البلاد العربية (التي لم تكن تحمل هذا الاسم)، و ما يعنينا من هذا الامتداد هو أننا عند استعمال كلمة " شرق "، فإن المقصود يكون فقط في البلاد العربية بشكلها الحالي و العرب بشكل عام منذ قبل الفتح الإسلامي ".[28]

و مصطلح **غرب** : " هو مجموعة الدول التي تكون أوروبا بشكل عام و أمريكا الشمالية و ما يدور في فلك هذه الدول و ينهج نهجا في السياسة و الاجتماع و الاقتصاد و التعامل الخارجي ....".[29]

فالغرب يعتبر مثقف و الذي يعتبر الآخر في حين أبدى الشرق و الذي هو الأنا تخلفه في الكثير من المجالات سواء الثقافية أو الاقتصادية أو السياسية و حتى ألاجتماعية وقد كانت هناك عدة عوامل ساهمت في لقاء الشرق بالغرب أهمها هجرة بعض سكان الشرق إلى أوروبا بأفكارهم و عاداتهم و تقاليدهم، واستعمار الغرب للدول العربية إضافة الاستشراق الذي كان له دور في اختلاط الغربيين بالعرب " يعتبر

[27] إيمانويل ليفانس، الزمن و الآخر، تر: منذر عياشي، دار نينوى، ط1، سوريا، دمشق، 2005، ص 60.
[28] سالم معوش، صورة الغرب في الرواية العربية، ص 70.
[29] المرجع نفسهن ص 70.

الاستشراق طرفا أساسيا في المقاربة الصورولوجية بالنسبة للغرب تجاه الشرق، من أجل معرفته و فهمه قصد احتلاله و الهيمنة عليه، و بواسطته أدركوا، وفي بلورة سمات العلاقة بينهما الشرقية ".[30]

وقد هيمن الغربيون على الشرق و اعتبروه متخلفا في حين أعطو لأنفسهم التفوق و التحضر: فجوهر الاستشراق هو التمييز الذي لا يمحي التفوق الغربي و الدونية الشرقية".[31]

وقد كتب العديد من الكتاب و المفكرين في هذا الجانب فنجد إدوارد سعيد يقول " أن الشرق هو الشرق و الغرب هو الغرب و أبدا لن يلتقيا، إن ضعف الشرق و تخلفه هو قوة و تقدم الغرب، إن الشرق القديم هو الشرق الحالي، إن الشرق غير قادر على معرفة نفسه، فالمستشرق الغربي غير قادر على معرفة الشرق، خلق الشرق ليكون متلازما مع حق أوروبا بحكمه و السيطرة عليه و الشرق هو إما مخيف و إما خاضع ".[32]

وقد سيطر الغرب على الشرق في العديد من النواحي:

" أوروبا الحديثة بسعيها لفرض قيمها و مثلها استبتت بشكل متساوق، عناصر انفصال حقيقي في الكائن العربي الإسلامي، الذي ما انفك منذ مختلف لحظات اللقاء العنيف مع هذا النموذج الحضاري الجديد، يتحدث من خلال الآخر و ينظر إلى مقوماته الذاتية في ضوء ما يفرضه عليه الآخر من رهانات و تحديات".[33] و الآخر هو الغرب الذي يرى في الشرق التخلف و الإسلام.

" الخوف على الذات و اندماجها بالآخر جعلت العربي يشعر بالتهديد الحداثوي من قبل الغرب و يقيم لنفسه خندقا ثقافيا أو دينيا، وبهذه الذهنية يفهم العرب التنامي الحديث للأصولية الإسلامية ".[34]

---

[30] فيصل رشدي، الاستشراق عند إدوارد سعيد، www.almotaquaf.com/th، 28جانفي 2017.

[31] إدوار سعيد، الاستشراق، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط4، بيروت، لبنان، 1995، ص 42.

[32] سالم معوش، صور الغرب من الرواية العربية، مرجع سابق، ص 88.

[33] نور الدين أفاية " الغرب في المتخيل العربي "، منشورات، دائرة الثقافة و الإعلام، الشارقة، أ.ع.م، 1996، ص 14.

[34] الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا و منظورا إليه، بيروت مركز، دراسات الوحدة العربية، 1999، ص 236.

فكما نعلم أن أوروبا تشكل الفجور و الفسق و الإباحة و الانحلال الأخلاقي يقول ابن عثمان المكناسي بعد زيارته لإسبانيا " اجتمعوا ذات ليلة نساءا و رجالا، ورقصت النساء كما هي عادتهن، وترى الرجل جالسا مع إمرأته، وابنته ترقص مع أجنبي، ويناجي بعضهم بعضا، و لا حياء لديهم على ما هو معلوم بينهم و شائع من الفسق و الزنا، ولا يبالون بشيء فقد جبلوا على عدم الغيرة ". [35] فالأجانب ليس فيهم بذرة غيرة على نسائهم من زوجاتهم و بناتهم خلاف المسلمين.

نظر الغرب إلى الشرق نظرة استبداد و تخلف فهو يرى فيهم ثرواتهم و أراضيهم فقط، " إن نظرة الغرب إلى الشرق المسلم و العربي بشكل خاص لها جذور تاريخية و ثقافية عميقة في الغرب، ولعل أبرز ما يلاحظ تاريخيا هو تصوير التاريخ على أنه صراع بين الغرب الديناميكي و المبدع، و بين الشرق الاستبدادي و المتخلف، ومن الممكن رصد ظاهرة التحامل على الشرق، وثقافته و أديانه منذ العصور الوسطى من أنشودة رولان الفرنسية وصولا إلى عصر النهضة و حتى الأيام الحاضرة ".[36]

ومن بين الأسباب التي أدت إلى تمازج العرب بالغرب نجد ظاهرة الاستعمار، " ذلك العنوان الآتي من الخارج عسكريا كان أو سياسيا أو اقتصاديا أو فكريا أو بعبارة أخرى هو أثر الخارج على الأمة متى كان هذا الأثر يجري بغير رضاها لغير صالحها ".[37]

فسيطر الغربيون على العرب سياسيا و اقتصاديا و عسكريا من خلال الغزو الثقافي و سيطرة الصهيونيين على بلاد المقدس.

" لقد عمل الغرب الإسلامي على إحكام سيطرته على الأمة و تبعيتها له على وجه شامل و تطلب ذلك منه إضافة السيطرة العسكرية و السياسية و الاقتصادية ثلاثة أمور هي: التركيز على جانب الغزو الثقافي الحضاري، و التركيز على تجزئة الأمة و تعميقها، وزرع الكيان الصهيوني في فلسطين ".[38]

[35] ذكره مصطفى نبيل في " العرب و علاقاتهم بالغرب "، كتاب العربي " الغرب بعيون عربية "، نخبة من الكتاب، عدد 60، 15 أبريل 2005، ص 90.

[36] حنان العلي، الأنا و الآخر: منتج ثقافي غربي، العدد، 131، 2012م.

[37] إبراهيم محمود عبد الباقي، الخطاب العربي المعاصر، ص 365- 366.

ويمكن اعتبار الآخر مسيحيا و الشرق مسلما " هو الغرب الذي يقابل الشرق و هو الصليبي الذي يقابل الإسلام و هو الاستعمار الذي يستبيح ديار العرب و المسلمين و يذيق أهلها الهوان، وهو عالم الكفر الذي يهدد عقيدة المسلمين بالهدم و نظام القيم لديهم بالمسخ و الفتك، وهو عنوان السيطرة الهيمنة و البطش و الاستعلاء ونزعات التفوق و المركزية الذاتية".[39]

فيمكننا القول أن العلاقة بين الشرق و الغرب كانت علاقة تفاعل حضاري و صراعات مختلفة كالحروب الصليبية و المشاكل السياسية ،كما نلاحظ احتلال الغربي يزيد من حدة الصراع و هو ما يحدث الآن في فلسطين و العراق و أفغانستان.

[38] المرجع نفسه، ص 366.

[39] عبد إله بلقزيز، دراسة في مقالات الحداثيين، إعداد مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2007ن ص 48.

الفصل الثاني

محمد الأمين بن الربيع
وراوايته قدس الله سري

الفصل الثاني: محمد الأمين بن الربيع و روايته " قدسّ الله سرّي "

1) ترجمة لحياة الكاتب
2) تقديم عام لرواية " قدّس الله سرّي "

أولا: ملخص الرّواية.

ثانيا: الشّخصيات الرئيسية و الثانوية.

ثالثا: تحليل عنوانى الرّواية.

الفصل الثاني: محمد الأمين بن الربيع و روايته " قدسّ الله سرّي "

المبحث الأول: ترجمة لحياة الكاتب:

(هو محمد الأمين بن الربيع ولد في 15 مارس 1987 بمدينة بوسعادة عاش طفولته بمدينة بوسعادة، تحصل على شهادة البكالوريا سنة 2006، والآن هو أستاذ ثانوي في مادة اللغة العربية منذ سنة 2011، تحصل على عدة شهادات منها: شهادة أستاذ التعليم الثانوي من المدرسة العليا للأساتذة بقسنطينة سنة 2011، و تحصل على شهادة الماجستير في الأدب العالمي الجزائري باللسان الفرنسي جامعة باتنة: 01 – سنة 2014، ومسجل سنة رابعة دكتوراه علوم بجامعة الحاج لخضر باتنة– 1: أطروحة دكتوراه عن السينما الروائية الجزائرية بعنوان " الصورة من النص الروائي إلى الفيلم السينمائي، دراسة مقارنة فبي التجربة الجزائرية.

ومتحصل على عدة جوائز أهمها:

- جائزة مؤسسة فنون وثقافة في القصة القصيرة 2009 عن قصة ليلة الرؤيا .
- جائزة محمد العيد آل خليفة بوادي سوف في القصة القصيرة 2010، عن قصة يهمس البحر.
- جائزة عبد الحميد بن هدوقة ببرج بوعريريج في القصة القصيرة 2010 عن قصة دوالي اغتيال هابيل.
- جائزة عبد الحميد بن باديس بقسنطينة في السرد 2011، عن المجموعة القصصية دوالي اغتيال هابيل.
- جائزة الرابطة الولائية للفكر و الإبداع بوادي سوف في الرواية القصيرة 2011 عن رواية عطر الدهشة.

- جائزة رئيس الجمهورية علي معاشي للمبدعين الشباب في الرواية 2012 عن رواية بوح الوجع.
- الجائزة الأولى في المهرجان الدولي للأدب و كتاب الشباب في القصة القصيرة 2014، عن قصة الهوى بمطعم الأرابيك.
- جائزة الطاهر وطّار للرواية العربية سنة 2017 من رواية قدّس الله سرّي.
- جائزة رئيس الجمهورية علي معاشي للمبدعين الشباب فئة المسرح المكتوب عن نص : موت الذات الثالثة 2018.
- جائزة الهيئة العربية للمسرح في دورتها الحادية عشر لفئة النصوص الموجهة للكبار عن نص : كفن البروكار 2019.

ومن أعماله المنشورة:

- رواية عطر الدهشة: صدرت عن الرابطة الولائية للفكر و الإبداع بوادي سوف 2012.
- رواية بوح الوجع : صدرت عن ENAG 2015.
- رواية قدّس الله سرّي : صدرت عن منشورات الوطن اليوم 2016.
- النص المسرحي موت الذات الثالثة صدر عن منشورات ENAG 2019.)[40]

المبحث الثاني: تقديم عام لرواية " قدّس الله سرّي "

رواية قدّس الله سرّي هي رواية جزائرية بقلم الروائي و الكاتب الجزائري محمد الأمين بن الربيع، ألّفها سنة 2016 التي حاز من خلالها جائزة الطاهر وطار سنة 2017 م، وهي رواية تحاكي حالة المجتمع الجزائري و الفرنسي أثناء الحقبة الاستعمارية وتنقسم هذه الرواية إلى أربعة فصول:أنا، أدريان، ردّة وبرزخ، تكشف رواية قدّس الله سرّي عن العديد من الموضوعات الخاصة بكلا المجتمعين و اختلافهم

[40] معلومات مأخوذة من الكاتب شخصيا عبر التواصل معه في صفحته على الفيسبوك، " محمد الأمين بن الرّبيع "

في العادات و التقاليد و المعتقدات التي جعلت أدريان الفرنسية ونائل الجزائري ينفصلان بعد حب كبير و مواجهة مشاكل كثيرة.

فأدريان هي فتاة فرنسية عاشت كلّ حياتها تبحث عن الحرية ولم تجدها، إذ أنّ والديها تخلّا عنها وهي في سن مبكرة وباعاها إلى عائلة غنية هذه العائلة التي جعلت منها جارية وبعدها هربت مع رجل فرنسي كانت تحاصره الدّيون بسبب القمار ولم يجد طريقة لتسديد ديونه سوى زوجته التي أصبحت تعاشر رجلين وما فوق في اليوم، ويقرران السفر إلى الجزائر و بالتحديد مدينة بوسعادة إذ تلتقي بنائل الشاب الجزائري ويقعا في الحبّ و تهرب معه إلى بيت أهله الصغير، فنائل شاب فقير يعمل في مصبغة الصوف هذا الشخص الذي واجه الموت بسبب الخطيئة التي ارتكبها مع زليخة اليهودية التي وضعت له السحر الأسود وأصبح يعاشرها في بيتها مرض نائل ومات لولا مساعدة نانا الضاوية.

تصوّر لنا الرواية كل تفاصيل مدينة بوسعادة إذ يروي الكاتب فيها حياة الشعب الجزائري أثناء الحقبة الاستعمارية و إيمانه بالأولياء الصالحين و الأمور الروحانية.

ويذكر الكاتب وقوع نائل في الخطيئة الثانية وهي حبّه لأدريان ، إذ كسر القيود من أجل الزواج بها، حيث رفضها أهله وخصوصا أمه التي كانت تعتبرها بمثابة رجل غريب بالبيت. ولكن تشاء الأقدار ويتزوجان بعد دخول أدريان للإسلام ولفظها للشهادتين ، ثم يطلب منها التوقيع على وثيقة تصرح قبولها الزواج و تغيرها لدينها لأنّ ما قامت به يعتبر جريمة في القانون الفرنسي ، ولكن أدريان رفضت ذلك، وقررت الانفصال عنه رغم حبّها له ورغم مواجهة كلّ المصاعب ليكونا معا، فيدخل نائل إلى حالة سيئة أقوى من الأولى.

تصور الرواية العلاقة بين الجزائر و فرنسا من خلال شخصية أدريان الفرنسية ونائل الجزائري، لأن أدريان لم تحب نائل بل كانت تبحث عن الحرية التي لم تجدها في فرنسا، فتخلت عنه بمجرد وثيقة ، وتثير هذه المغادرة انهزام فرنسا أمام الجزائر.

يوظف الكاتب الدين في الرواية كرمز أساسي للثقافة الجزائرية في قول أدريان: " يا مريم ، يا أمنّا الممتلئة بالنعمة يا سيدة النّور في هذا العالم الظالم ، مدّي لي من نورك لأقتبس منه، أنا الضائعة في هذا العالم وسط حشود من التائهين أمثالي في ظلمات أنفسهم أغيثيني يا عذراء "[41] فحبّها لنائل دفعها إلى تغيير دينها.

ثانيا: الشخصيات الرئيسية و الثانوية:

إن الشخصية هي عنصر أساسي في بناء الرواية إذ لديها العديد من التعريفات أهمها:

في لسان العرب: " شخص : جماعة شخص الإنسان و غيره، و هو كذلك، مذكر و الجمع أشخاص و شخوص، و الشخص: سواء الإنسان و غيره، نراه من بعيد و نقول ثلاثة أشخاص وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه".[42]

وتعرف الشخصية الروائية بأنها:

" العلامة التي تقوم بوظيفة ذات أصل نحوي، أو الشخصية العامل أو المشارك أو الوكيل ".[43]

في أي رواية أو قصة أو غيرها توجد شخصيات فهي الأساس لتكوين العمل الروائي، و قد تعددت الشخصيات في رواية قدّس الله سري، أنّ كل رواية تنقسم فيها الشخصيات إلى قسمين: شخصيات رئيسية و شخصيات ثانوية، واحتوت هذه الأخيرة على شخصيات جزائرية عربية و أوروبية يهودية، لكن شخصيات هذه الرواية مستمدة من الواقع و خصوصا بيئة الكاتب إلا أنه زاد عليها بعض المتخيل السردي.

---

[41] محمد الأمين بن الربيع، قدّس الله سرّي، ص 72-73.

[42] أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مجلد السابع، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1،1997، مادة (ش خ ص)، ص 45.

[43] رشيد بن يمينة بو أكبر الرواية الجزائرية، دراسة تحليلية بنية السرد في خطاب، حكاية العشاق في الحب و الاشتياق، قسم التصنيف، دار تفتيلت، طباعة، نشر، اتصال، 2013، ص 38.

أ – الشخصيات الرئيسية:

* **نائل بن سالم:** و هو الشخصية التي تدور حوله الاحداث ، وهو شاب جزائري عاش حيات بسيطة، ويعتبر في الرواية هو البطل.

" إدعى نائل بن سالم، ولدت قبل سبع سنوات من العام الذي اجتاح فيه الطاعون مدينة بوسعادة، و أتى على الكثير من أهلها، ولم يسلم منه إلاّ القلة القليلة التي لازالت تروي إلى اليوم مواجع أحداث السنة التي وقع فيها، بمرارة لا توصف، كنت الوحيد من بين اخوتي الذي بقي على قيد الحياة ".[44]

وعندما التقى بأدريان شكلت محورا حاسما في حياته.

" في ذلك اليوم عرفت المعنى الحقيقي لان أكون بشرا، وأن أتمتع بكل ما وهبه الله لي. من العين إلى القلب، إلى الفكر الممتلئ بصخب الحياة وتفاصيلها المغرقة في التعقيد و المفرطة في السفاهة.... تبين لي في تلك اللحظات أنني إنسان يتمتع بإنسانيته لديه قلب ينبض و دم يتحرك داخله، ولديه روح تسكن في مكان ما من جسده...."[45]

* **أدريان موريالك:** (**شمس النهار**):

هي شخصية من الشخصيات الرئيسية تدور حولها أحداث الرواية عاشت في واقعين واقع فرنسي وواقع جزائري:

[44] محمد الأمين بن الربيع، قدس الله سرّي، ص 23.
[45] نفسه، ص 42.

(إسمها أدريان موريالك، تعيش على وقع موسيقى قلبها منذ أن علمت أنّ لديها مواطن في الروح عليها اكتشاف كنهها لئلا يكون لنفسها عليهاحجة بعد رؤاها، لم ولن يهمني ما كانت عليه ذات يوم بعيدا عني..."[46] حلمها الوحيد هو زيارتها للجزائر بحثا عن الحرية.

" وضعي كلام ستيفاني في مفترق الطرق أمام حياتي، حياتي السابقة و حياتي القادمة، لقد كنت مخيرة بين أن أغير أو أحافظ على نمطي القديم....كانت الجزائر تأتينا طواعية. و كنا نذهب إليها برغبة البقاء على قيد الحياة ".[47]

ب الشخصيات الثانوية:

* **سالم بن يحي:** وتمثل دور شخصية الأب، فقد صوته بسبب وفاة أبنيه اللذين أصيبا بالطاعون .

" كنت الوحيد من بين إخوتي الذي بقي على قيد الحياة، فعمر و موسى ماتا بالوباء، و أبي أصيب بعاهته التي حرمتني من سماع صوته و إسماعه صوتي .."[48].

* **الأم بنت حليتم:** لعبت هذه الشخصية دور الأم الحنونة وفي نفس الوقت متشددة لأنها كانت رافضة أدريان لنائل:

" ربما أبدت أمي انزعاجها، لكنها لم تلبث أن عادت إلى توزيع حنانها ليشمل حتى أدريان، فقد رأيتها كيف سوت لها الفراش ثم غطتها بحنبل الصوف البيض..."[49].

" ظلت أمي تنظر في عينيّ، وأحست لوهلة أنّ الدموع قد تنزل من عينيها في أي لحظة...."[50].

[46] نفسه، ص 39.
[47] محمد الأمين بن الربيع، قدس الله سرّي، ص 103.
[48] نفسه، ص 23.
[49] نفسه، ص 144.
[50] نفسه، ص 145-146.

* **الأختين عويشة و الغزال:** هما توأم ولكن توأم غير حقيقي بكماوتين لم ينطقا إلاّ حرف الباء والميم سميتا على المرأة التي أعطت الحكمة لنانا الضاوية.

".. عندما بلغت أختاي الثالثة من عمرهما ولم تتمكنا إلاّ من نطق حرف الباء و الميم.."[51]

* **نانّا الضاوية:** لها دور كبير في الرواية، وهي إمرأة كبيرة في السن يقال عنها أنها تسكنها جنية لأنها امرأة غريبة و حكاياتها لا تنتهي وعمرها ممتد ويروى عنها أنها تزوجت في السن العاشرة بجني أفسد عليها زيجاتها الثلاث.

" هي الضاوية بنت المولود، حكاياتها لا تنتهي، و الحكايات التي نسجت عنها لا تقل عن تلك التي ترويها غرابة، قيل لي أن عمرها ممتد لا حد له، كل واحد يروي لأبنائه بأنه عاصر نانّا الضاوية و أنا سأروي لأبنائي أنني قد عاصرت هذه المرأة."[52]

" هي الضاوية بنت المولود، تزوجت منذ كانت في العاشرة من عمرها بجنيّ، أفسد عليها زيجاتها الثلاث من النّصري بن فرحات ومن موسى بن الطيب ، وعبد الله بن امحمد تباعاً."[53]

* **الشيخ بلقندوز:** هو صاحب محل مغطسة الصوف كان يعمل عنده نائل كان متشدد يعامل عماله بقساوة ولكنه كان يحب اليهوديين.

".. حقا لقد كان بلقندوز شيخا أكثر من ربّ عمل....عدت أنا إلى أحواض الصباغة أقلب خيوط الطعمة، وأنا لا أنيّ أفكر في الطريقة المثلى للمغادرة، كنت أدعوا الله أن يمنحني الشجاعة لأتخلص من سلطة بلقندوز ، حتى على عقولنا...."[54]

" وحده بلقندوز ظل وفيا لصديقه "[55]

---

[51] نفسه، ص 163.

[52] محمد الأمين بن الربيع،ص 19.

[53] نفسه، ص 26.

[54] نفسه، ص 17.

* **لالة الغزال عويشة:** هي الغزال عويشة بنت الجوهر تتميز بالحكمة ، وهي من أعطت حكمتها لنانا الضاوية وهي إمراة مكفوفة " ... لولا نانا الضاوية لمت أنا الآخر

و جميع أهل بوسعادة بالطاعون بحكمتها التي أتاها إياها الله العلي، وورثتها عن السيدة الكبيرة الغزال عويشة بنت جوهر..."[56]

* **سي بلقاسم** : كان يحب الغزال عويشة وعندما رحل عنها كتب شعره الذي اشتهر به:

الغْزَالْ عْوَيْشَة وَخْدِيمَكْ رَاهُو مْشَا

فِي نُقْصَه عْشَّى وَدْمُوعَهْ سَالُوا

عَوْدَهْ البَحْبَاحْ بَعْدْ مَا نْهَضْ طَاحْ

وَأَنَا خْدِيمْ الصْلَاحْ مِنْ بِكْرِي إِذَا سَالُوا [57]

* **الشيخ الطاهر بلحيدوسي:** هو إمام مسجد أولاد حميدة وهو من الرجال المحسنين يحب مساعدة المحتاجين وكل من طلب منه مساعدة في شيء ما:

" مسجد أولاد حميدة، كان يعرف وفودا كثيرة للمصلين لسببين، أولها أنه قريب من سوق المدينة، و ثانيهما أنّه من يؤم مصليه هو بلحيدوسي، هذاالرجل معروف عنه منذ عهد بعيد أنه لا يرد لقاصد طلبا مادام حلالا".[58]

---

[55] نفسه، ص 185.

[56] نفسه، ص 24.

[57] محمد الأمين بن الربيع،ص 24.

[58] نفسه، ص 137.

* **الشيخ سليمان بن إبراهيم با عمر** : هو إمام مسجد المرابطين فرغم المكانة التي يتمتع بها في المدينة إلاّ أنه لم يجد زوجة جديدة.

" غريب أمره يتمتع بالمكانة و الجاه و الملمح و لم يسعفه الحظ في إيجاد زوجة جديدة..."[59]

* **زليخة:** وهي امراة يهودية وقع نائل في حبّها للمرة الأولى بسبب السحر الأسود الذي وضعته له و أدّى به إلى الموت.

* **فيليب:** وهو زوج أدريان الفرنسي الذي كان يلعب القمار ويخسر كل مرة فيلجأ إلى زوجته ويطلب منها معاشرة الرجال لكسب المال.

" كان يعيش من متعتها و لأجلها "[60]

* **أنطوانيت:** هي من تبنت أدريان بعد تخلّي والديها عنها و جعلتها جارية.

" كانت تهتز في مكانها كما كانت تفعل كلّ مرة تشعر فيها بالغضب .."[61]

* **ستيفاني:** هي فتاة فرنسية التقت بها أدريان في الباخرة واعتبرتها صديقتها لأنّها رأت فيها حريتها.

".. كنت ملتصقة بستيفاني طفلة تخاف أن تضيع من أمها لقد كانت ستيفاني عرابتي، وولية حريتي وحياتي الجديدة.."[62]

* **لودفيك:** هو من تبنى أدريان لكنه لم يكن أبا مثاليا:

" لقد كانت ستيفاني مصدر بهجة افتقدتها منذ فقدت برائتي على يد لودفيك ."[63]

---

[59] نفسه، ص 48.
[60] محمد الأمين بن الربيع،ص 76.
[61] نفسه، ص 70.
[62] نفسه، ص 98.
[63] نفسه، ص 100.

* **سيمون:** وهو صديق فيليب يتميز بالخبث. " ابتسم بخبث، ابتسامة أجابت عن عديد من الأسئلة، تفرنسي جيدا في ضوء تلك الشمعة التي كانت تكافح من أجل البقاء مشتعلة "[64]

* **العجوزة بوشونة:** تعتبر ساحرة وهي من ساعدت زليخة على وضع السحر لنائل.

* **حميدوش اليهودي:** يعتبر في الرواية صديق الشيخ بالقندوز .

* **الجد الذوادي:** يمثل جد نائل، وهو لا يعرف يسمع عنه فقط .

* **ريمون شيشبورتيش:** وهو رجل يهودي يملك مقهى.

* **مراد:** صديق ستيفاني.

* **بنيامين:** صاحب حانة الهوى التي كانت أدريان تشتغل فيها.

* **الراقصة يمينة:** كانت تعيش ظروف اجتماعية سيئة مما دفعها إلى الرقص.

* **برنار:** هو صاحب دكان كانت تذهب عنده أدريان تعلمت منه العديد من الأمور .

" جعلني أعتقد بوجوه سبب مقنع لحبّ الحياة، من ذلك المشرف على الموت..."[65]

* **الأمير خالد.**

* **الأمير الهاشمي بن محي الدين.**

* **الرسّام إتيان ديني.**

* **خير الدين بربروس الملا إبراهيم، والي دادة.**

* **عمر.**

---

[64] نفسه، ص 83.

[65] محمد الأمين بن الربيع، قدس الله سري،ص 83.

*** بلعلا الحملاوي.**

*** أزواج نانّا الضاوية (النصري بن فرحات، موسى بن الطيب، عبد الله بن امحمد).**

*** أبناء زليخة.**

*** محمد بودراعة.**

*** زوجة محمد الفرجاوي.**

*** أحمد الفرجاوي.**

*** العارم زوجة بلقندوز.**

*** عمي بنعمون.**

*** بليون و أوسكار.**

ثالثا: تحليل عنوان الرواية:

استعمل الكاتب هذا العنوان ليحيل على توظيفه للغة سردية تراثية يجمع فيها بين التاريخ و التصوف، ولهذا جاءت لغة العنوان شبيهة بلغة التصوف، هذه اللغة التي تجسد التواصل الإلهي. " اللغة الصوفية ليست مغامرة في الوجود فحسب ولكن أيضا ذات طابع معرفي، فهي محاولة وسعي دائم للاكتشاف و الولوج إلى الغامض ولعل من أكبر ملامح معاناة الصوفي هي هذه الرغبة في أن يرى، و أن يتوحد بهذا المدرك المجهول الرغبة في اختراق الحجب و الإقامة في المقدس."[66]

[66] سحر سامي، شعرية النص الصوفي في الفتوحات المكنية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2005، ص 97.

ومعنى قدّس الله سرّه أي أنه أماته ثم أحياه دون أن يعلم أحد بما جرى له غير الله بقوله " ولا تنسى عند كلّ ضربة بالفأس أن تذكر الله هو الذي قدّس سرّي أماتني ثم أعاد أحياني"[67]

وهي عبارة عن ذات جذر ديني المقصد منها تقديس شخص ما لاعتبارات مرتبطة بشخصه ... و الشائع في الثقافة الصوفية وحتى لدي الشيعة استخدامهم لعبارة قدّس الله سرّه حين يتحدثون عن شخص له وزنه في معتقدهم كأن يكون وليا صالحا أو مرجعية دينية، ولكن في العنوان استخدم الكاتب ياء المتكلّم بدل هاء الغائب للتعبير عن حالة من التقديس للذّات.

[67] محمد الأمين بن الربيع، قدس الله سري،ص 181.

الفصل الثالث

تجليات الأنا والآخر في رواية قدس الله سري

الفصل الثالث: تجليات الأنا و الآخر في رواية " قدّس الله سرّي "

1 – تجليات الأنا في الرواية

أولا: الأنا النفسي.

ثانيا: الأنا الاجتماعي.

2 – تجليات الآخر في الرواية:

أولا: الآخر النفسي.

ثانيا: الآخر الاجتماعي.

الفصل الثالث: تجليات الأنا و الآخر في رواية " قدّس الله سرّي "

تمهيد:

إنّ رواية محمد الأمين بن الربيع هي رواية جزائرية، إذ تعتبر من أهم الروايات التي نقلت لنا مدى تسلط الآخر الفرنسي على الأنا الجزائري، وقد حاولت تسليط الضوء على رواية " قدّس الله سرّي " لإبراز وكشف المعاناة التي سببها الآخر الفرنسي وما هي نواياه اتجاه الجزائري، فكيف كانت تجليات الأنا و الآخر في الرواية من الناحية النفسية و الاجتماعية ؟

المبحث الأول: تجليات الأنا في الرواية:

حاولت الرواية أن تبرز الحالات النفسية للأنا و سلوكاته هل طبيعية أم لا التي تحدث نتيجة حالته الشعورية و التي من خلالها يعرف الشخص ماذا يخبئ في ذاته وما ستشتمل عليه.

عبرت رواية " قدّس الله سرّي " عن حالة نائل بن سالم الحزينة التي عانت الكثير فتدمرت بحالة نفسية أليمة.

" فالألم هو إحساس يحاصر الأنا و يدفعها إلى محاولة التخلص منه عبر عدة طرق وقد يكون البوح و الكلام إحدى هذه الطرق فالإحساسات المؤلمة تنزع نحو التغير و التفريغ، وهذا هو السبب الذي من أجله نفسر الألم على أنه يتضمن ازدياد شحنة الطاقة النفسية بتصرف الدافع المكبوت فهو يبدي قوة دافعة بدون أن يلاحظ الأنا ما في ذلك من التزام ".[68]

كان نائل يعيش حياة هامشية لكن تغير حياته بعد الوقوع في حب الفتاة الفرنسية وهنا تجلى معنى الحب حيث نجده يقول في مقطع سردي " لكني لم أفكر في ملكوت الله بل في حركة أدريان وما أججته داخلي من رغبة محمومة في معرفة ما تحمله لي من سعادة، لقد صرت رجلا من مدة ليست

[68] سيغموند فرويد، الأنا و الهو، ص 138.

بيسيرة ولكن اليوم فقط عرفت معنى أن تكون رجلا ولديك امرأة، تحبها وتفعل معها ما لا يمكن لشخص آخر أن يفعله دون حب، لولا وجود أهلي لكنت ذهبت مع أدريان إلى أبعد الحدود."[69]

كشف لنا نائل حالته النفسية اثناء لقائه بأدريان التي أحدثت في قلبه نوعا من الانفعال بقوله:

" ووقفت أمامها يوما محض القصد في محض المسطر لكلينا، بينما جدار من الوهم الذي بنيته لحظتها على أسس الفرق بيني و بينها، ولم أنتبه إلاّ وهي تلج باب المحل وتلج منه إلى قلبي، فاشتعلت فيه نورا ما كنت أعرفه فيه قبلا." [70]

وقد أبرز لنا الكاتب معنى الحب من النظرة الأولى:

" عندما وصلنا إلى الوادي لم أكن أفكر إلاّ في اللحظة الأولى التي ستسبق ولوجي إلى البيت وسيدة شقراء في إثري."[71]

عانت شخصية نائل بن سالم الكثير من الآلام و القلق و الإرهاق بسبب الفتاة الفرنسية " أدريان مورياك " لأنه وجد نفسه في حالة حب غريبة كل طرق النجاة منها غامضة رغم نبوءات نانّا الضاوية.

" لقاؤنا كان قدرا محتوما مسطرا لكلينا رغم نبوءات نانّا الضاوية و أحلام أدريان الغامضة، إلاّ أنّ الأمر كان أبعد مما يكون عن توقعاتي."[72]

مرّ نائل بالكثير من المتاعب و العقبات بسبب حبه للفرنسية فقد تحدّى أهله و أحضرها إلى بيتهم رغما عنهم لأنّ المجتمع الجزائري لا يسامح امرأة هاربة من زوجها ولا يتقبلها لأنها غير ممكنة من ناحية الشرع .

[69] محمد الأمين بن الربيع، قدس الله سري، ص 33.
[70] نفسه، ص 41.
[71] نفسه، ص 46.
[72] نفسه، ص 10-11.

" وضعت يدها اليمنى على فمها وحبست أنفاسها و تطلعت بعينيها الكبيرتين، فهمت الكثير مما لم تقله و أحسست لحظتها أنّها ستطلب مني طردها إلى الظلام لتنهشها الكلاب، ليس لدينا في ثقافتنا مصطلح الهروب من الزوج فكيف بإيواء هاربة..."[73]

ويخبر نائل أمه أنّهما عاشا نفس الحالة الشعورية فهي كذلك قاطعت أهلها في سبيل حبّها يقول:

" رغم أنني أخبرتها أنّ السحر الوحيد الذي يتملكني اليوم هو نفسه السحر الذي جاء بها إلى بوسعادة يوما من ساحل البحر، دون أن تعير لغضب والدها وتهديداته بنسيانها أدنى اهتمام، وحده سحر الحبّ كان يتملكنا هي والدي وأنا... نائل بن سالم.."[74].

وضح لنا الكاتب من خلال هذا المقطع السردي أنّ الحبّ هو التضحية و التخلي عن كل شيء حتى الأسرة.

ومثلما كشف لنا الكاتب في الرواية عن حبّه كشف عن حالة نفسية أخرى وهي الكراهية وهي حالة نفسية طبيعية في قول نائل:

" وصلت إلى قمة الربوة التي كانت مشرفة على الميامين ،الكنيسة التي يحفها سكون جنائزي مقرف، أكثر مكان كنت أكرهه في مدينتي هو هذا المكان.."[75]

فنائل يصف هنا الكنيسة ومدى قرفها و الكره الذي شعره اتجاهها وهذه حالة طبيعية لأنّ المسلمين بصفة عامة و الجزائريين بصفة خاصة يكرهون هذا المكان وكل من له علاقة به.

ويدخل نائل في حالة نفسية صعبة نستطيع أن نسميها غيبوبة أو صدمة ويصور الكاتب هذه الحالة في قوله:

" أحسست بعالم حاد أسفل ظهري، واشتممت رائحة جلدي، ولم أع بعدها ما ذا حدث."[76]

[73] محمد الأمين بن الربيع، ، ص 09.
[74] نفسه، ص 169.
[75] نفسه، ص 35.

وفي قوله أيضا " الظلمات السبع، عشق أسود، قلب أسود وروح لا تعرف عن الخوف من الله شيئا، غسلت و كفنت، وأشيع خبر موتي في كلّ المدينة، فجاء النّاس من كل مكان ليعزوا والدي ."[77]

ويعبر نائل عن إحساسه بالوحدة في قوله:

" سقطت مغشيا على الأرض فقد أمضيت مدة طويلة أبحث عن هواء أستنشقه لكن عبثا كنت أفعل، تحركت في كلّ الاتجاهات لعلّي أضفر بفرصة دخول الهواء إلى رئتي، لكن لا جدوى، أحسست بصدري يضيق ويضيق كأنّما طبقت أضلعي على بعضها مثل دفتي مجلد قديم مغبر، فغرت فاي، اتسعت عيناي وطنين رهيب صفر أذني...لوحت بيدي في الفضاء أبحث عن شيء أستند عليه لئلا أسقط لكن ...سقطت ....في سرّ ناديت الله تذكرته بعد أن نسيته زمنا طويلاً."[78]

فهذه الصدمة كانت جراء السحر الأسود أو سحر اليهود الذي وضعته له " زليخة اليهودية " التي اعتبرت الخطيئة الأولى في حياة نائل.

ومن خلال هذه المقاطع السردية نستنتج مدى إبداع محمد الأمين بن الربيع في وصف الجانب النفسي و التخيلات التي وظفها في قوله.

... تعالت تكبيرات المصلّيين بشكل عشوائي، لا يدل على أنهم يتابعون إمامهم فقد كانوا يتابعون حركة الجسم، الذي مسجى على اللوح أمامهم، تفرقوا شيعا، بعد أن تململت داخل الكفن، قواي كانت واهنة و لكنّي جاهدت أن أتحرّر من قيدي الذي يكون أبديا، اقترب مني الإمام ووالدي، فتحا الكفن قال الإمام:

- ما اسم أخويك اللذين توفيا بالوباء؟

[76] محمد الأمين بن الربيع، قدس الله سري، ص 59.
[77] نفسه، ص 59.
[78] نفسه، ص 56.

- مو...سى، عمر..." [79]

لكن رغم الذي حصل له بسبب حبه لزليخة إلاّ أنّه أعاد نفس الخطأ بحبه لأدريان فهو أثناء علاقته بأدريان عاش حالتين نفسيتين في آن واحد، حالة سعادة مع المرأة التي أحبّها ووعدها للزواج، وحالة حزن بسبب عدم رضى أهله عن علاقته بهذه المرأة يقول:

بحثت عن الفرحة التي كان لا بد أن أعيشها كعريس فلم أجد، كنت أتنهّد ناسيا أن أستغفر الله، أغيّر وضعيات جلوسي لعلي أظفر عن طريق واحدة بإحساس الراحة فلم أفلح، كان الألم وحده الذي يتملكني واعتصار في القلب يزداد ويزداد..."[80]

وعاش نائل نفس الألم الذي سببته له خطيئته الأولى ليدخل في حالة نفسية صعبة أشد ألما من الأولى.

ثانيا: الأنا الاجتماعي:

ينقل لنا الكاتب الظروف الاجتماعية في مدينة بوسعادة خلال فترة الاحتلال الفرنسي وذلك بقوله " وقد كنا نحظى ببعض الطعام أو اللّحم بعد أن يفرغ الرجال من الغذاء."[81]

وفي قوله أيضا " ...أن يكون ذلك اليوم عيدا حقيقيا، ينسي الأهالي بؤسهم "[82]

تبرز لنا هذه المواضيع السردية أنّ المجتمع الجزائري كان مهمّش يعيش حالة بائسة، وكانت تنعدم عنده أساسيات الحياة، كالتعليم و الأكل واللباس و السكن ، فحضور الامير الهاشمي أمر مهم عندهم ففي ذلك اليوم فقط ينسون بؤسهم ويحظون ببعض الطعام.

فالشاب الجزائري نائل كان يعيش في أسرة ميؤوسة يقول:

[79] محمد الأمين بن الربيع، قدس الله سري، ص 60.
[80] نفسه، ص 166.
[81] محمد الأمين بن الربيع، قدس الله سري، ص 152.
[82] نفسه، ص 150.

" دفعت الباب الذي لم يكن سوى أخشاب مشدودة إلى بعضها بدسر وولجت الكوخ العتيق الذي ولدت فيه وولد فيه قبلي والدي وشهد تعاقب أكثر الحوادث المتصلة بعائلتي ألما وسعادة على الإطلاق "[83]

يتبين من خلال قوله أنّ البيت قديم وبسيط تشده بعض الأخشاب، هذا الكوخ الذي حمل عنهم وشهد حوادث مأساوية بكلّ آلامها و أحلامها.

صوّر لنا الكاتب محمد الأمين بن الربيع الظروف القاسية التي جعلت نائل رجلا مسؤولا في سن مبكر منها وباء الطاعون الذي أصاب مدينة بوسعادة وخلف من ورائه معاناة لأسرته حيث مات أخويه بسبب هذا الوباء، مما أدّى إلى عدم تحمل أبوه لهذه الصدمة التي سببت له البكم و الصم وورثت أختيه التوأم أيضا هذه الحالة عن أبيهما.

" أدعى نائل بن سالم ، ولدت قبل سبع سنوات من العام الذي اجتاح فيه الطاعون مدينة بوسعادة وأتى على الكثير من أهلها ولم يسلم منه إلاّ القلّة القليلة التي لازالت تروي إلى اليوم مواجع أحداث السنة التي وقع لافيها بمرارة لا توصف، كنت الوحيد من بين إخوتي الذي بقي على قيد الحياة، فعمر و موسى ماتا بالوباء، وأبي أصيب بعاهته التي حرمتني من سماع صوته وإسماعه صوتي "[84]

فنائل عاش حياة فقيرة ميؤوسة و هو صغير حتى أنه غادر الدراسة في سن مبكرة بحثا عن حرفة أو عمل يساعد به عائلته: " لكنّي لم أصل منذ غادرت الكتاب إلى المدرسة الفرنسية " شالّون " بحثا عن تعليم آخر يضمن لي ألاّ أموت جوعا و أجد شيئا أسد به رمقي إن طال بي العمر لدى واحد من أولئك الكولون، ولكنّي وبعد خمس سنوات وجدت نفسي في ذلك المحل برأي من عمي بنعمون ومباركة من أبي."[85]

[83] نفسه، ص 31.

[84] محمد الأمين بن الربيع، قدس الله سري، ص 23.

[85] نفسه، ص 47.

يبين لنا كذلك الكاتب مدى تمسك الجزائري بالعادات و التقاليد لأنّ التمسّك بها يعبر عن حب الوطن و الانتماء إليه في قوله:

" حين وصلنا إلى البيت شاهدت أبي جالسا تحت التينة في أقصى البستان يراقب العنزات حتى لا تقترب من الفول الذي بدأ يثمر، تذكرت أنّ بلحيدوسي أمرني بأن أولم لأن هذا من السنة، ربما سيمنحني أبي جديا لأذبحه، أنا متأكد أنّه سيفرح لي كثيرا."[86]

ويشير كذلك إلى المرأة الجزائرية من خلال وضعها للحناء التي تعتبر من العادات و التقاليد فنائل رغم أنّ زوجته مسيحية أمرها بوضعها في كفيها، في قوله: " كنت أتكلم و أشير بيدي إلى كف أدريان حتى أفهم غزال و عويشة أنّها ستصبح زوجتي، الزوجة عندنا تخضب بالحناء كفيها عاما كاملا، لذا يرمز إلى العروس بالحناء ".[87]

ثم يشير محمد الأمين بن الربيع إلى تمسك الأنا الجزائري بالدين الإسلامي و التمسّك به و العودة إلى الله في الأمور الدينية و الدنيوية ، قد يظهر ذلك في بعض المواضيع السردية: " لكن... سقطت ...في سرّ ناديت الله تذكرته بعد أن نسيته زمنا طويلا."[88]

وقوله: " ....أمّا أنا فكنت أفكر في الكيفية التي سأهيئها بها لأقول لها أنّ عليها أن تستمر مسلمة، عسى أن يوفق الله بيننا و يجمعنا في الحلال "[89] ، فرغم ابتعاده عن دينه إلاّ أنه ظلّ متمسكا بالله عزّ و جلّ.

وفي مواضع أخرى يكشف نائل عن موقفه تجاه المعتقدات و كيف يبيّن للفتاة الفرنسية أن ديننا الحنيف لا يسمح بمعاشرة امرأة مسيحية ما دام أنّها متمسكة بالكاثوليكية في قوله: " ...أفهميني جيدا يا أدريان، قد تستغربين عدم اقترابي منك كل هذه المدة التي قضيتها هنا، كل ذلك بسبب

[86] نفسه، ص 144-145 .
[87] نفسه، ص 145.
[88] محمد الأمين بن الربيع، قدس الله سري، ص 56.
[89] نفسه، ص 64.

افتقارنا لعقد شرعي يبيح لي ذلك، وبعد طول تفكير و مشورة اهتديت إلى أنّه من الواجب الآن أن أعقد عليك قراني ".[90]

بين لها أنّ الإسلام هو دين طاهر و عفيف، ويرمز في مواضع أخرى إلى الحجاب الذي أمر به الدين الإسلامي واعتبره سترة للمرأة، في قوله : خرجت أدريان تحمل بين يديها الملحفة وقد عجزت عن إيجاد الطريقة المناسبة لارتدائهما أمسكتها من طرفيها وضعتها على رأس أدريان من المنتصف و لففت طرفيها تحت ذراعيها الجهة اليسرى تحت الإبط الأيمن و الجهة اليمنة تحت الإبط الأيسر ..."[91]

وضّح محمد الأمين بن الربيع مدى تمسك الجزائريين بالقرآن و حفظه رغم الظروف التي لم تكن تسمح بذلك في قول نائل:

"كنّا نتمادى حين نقرأ القرآن بصوت جهير، بين الحصص نستذكر أوردة أو نستظهر على بعضنا، وقد كان الغضب يصل بهم إلى درجة أنهم كانوا يعاقبوننا بلا رحمة، فيوقفوننا في الفناء الذي يتوسط المدرسة عراة عرضة للبرد و السخرية من أبناء الفرنسيين و اليهود..."[92]

كشف لنا قول نائل أنّ أطفال الجزائريين دافعوا عن دينهم رغم صغر سنّهم ورغم أنّهم لا حول ولا قوة لهم.

ويشير الكاتب محمد الأمين في مواضع أخرى عن تعلق الجزائريين بالخرافات و الأمور الروحانية و الأضرحة: " استدرت لأتوجه إلى ضريح سيدي إبراهيم، لم يكن بعيدا فالمسافة ما بين نانّا الضّاوية والضريح تقدر ببضع خطوات فقط، و إن خرجت من حارة أولاد حميدة حتى وجدت نفسي

[90] نفسه، ص 65.
[91] نفسه، ص 64.
[92] محمد الأمين بن الربيع، قدس الله سري، ص 136.

قبالة الضريح، دفعت الباب الكبير الموجود في السور المحيط بمبنى الضريح ودخلت متناسيا كلّ شيء محاولا ألاّ أنسى الله ..."[93] ، كما يبدو نائل بن سالم متأثرا و متمسكا بالأولياء الصالحين في قوله:

" قابلت نانّا الضاوية وجها لوجه بعد أن كنت أخشى النظر إليها أصلا بدت لي أصغر مما أعرف، تذكرت قول أمي بأنّ النّاس الصالحين يموتون شبابا رغم أنّ، الزمن يمتد بأعمارهم إلى ما شاء الله..."[94]

فنانّا الضاوية هي بالنسبة له و لسكان بوسعادة شخص له مكانة مرموقة بينهم.

يشير كذلك الكاتب إلى إيمان الجزائريين بالسحر ولاحظنا ذلك من خلال خطيئته الأولى مع " زليخة اليهودية "، حين وضعت لنائل السحر الأسود الذي أدّى به إلى الموت لولا نانّا الضاوية لقوله : " لا أحد سلم من سحر اليهود الأسود، هذا السحر الذي يجزي صاحبه بجهنّم و بئس المصير، وحدها نانّا الضاوية تعرف كيف تخلص المسحور منه، تعرف موطنه من الجسم."[95]

وفي موضع سردي آخر يقول: " ..عرفت نانّا الضاوية بقدرة قادر أنّهم سحروني في منيّ الذي زرعته في فرج زليخة أكثر من مرة ولأنها تعلم أنّ لا شيء بإمكانه الإضرار بالرجل كذلك الدافق من بين الصلب و الترائب..."[96]

يبين نائل مدى خطورة اليهود و سحرهم الأسود الذي يؤدي بصاحبه إلى الموت.

[93] نفسه، ص 20.
[94] نفسه، ص 23.
[95] نفسه، ص 61.
[96] محمد الأمين بن الربيع، قدس الله سري، ص 61.

المبحث الثاني: تجليات الآخر في الرواية

أولا: الآخر النفسي:

أي إنسان في هذا العالم تربطه علاقة بالآخر، فهو لا يمكنه العيش دون الآخر سواء كانت هذه العلاقة علاقة مودّة وحب و احترام أو مصلحة و استغلال ، وقد كشف محمد الأمين بن الربيع في رواية قدّس الله سرّي " الآخر "بشخصية أدريان هذا الآخر الذي حاول غرس أنيابه في الأراضي الجزائرية رغم الفرق الثقافي و الديني بينه و بين الأنا الجزائري في قوله:

" كنت أشفق على نفسي منهم ، أشفق علينا من حياتنا، التي لم تكن تشبه حيوات الآخرين الذين جاؤوا إلينا تحملهم أمواج البحر الصيفي الهادئ، ليجثوا هنا أراضينا...."[97]

نقل لنا الكاتب الحالة النفسية لأدريان موريك التي شهدت معاناة كبيرة بدأت معاناتها بتخلي والديها عنها في موضع سردي تقول: "... أنبأوني أنّهم قد ماتوا حرقا في حريق أتى على بيتن، لم أكن غبية لأصدق ذلك، كنت على علم أنّهما كانا يخططان للانفصال وقد كنت العقبة التي تقف في وجه كليهما، لتحقيق سعادته، وضعاني في ذلك المكان المخصص للرهبنة و افترقا و نسياني. "[98]

تصرح أدريان بأنها عاشت بائسة يغذيها شيء من الرهبنة التي كانت تسلطها عليها المرأة التي تبنتها وجعلت منها جارية فعاهرة من خلال السماح لها بمعاشرة زوجها لودفيك، وبرزت لنا أدريان مدى معاناتها من خلال عواطفها التي عبّرت عن حياتها منذ صغرها فالعواطف هي " جانب هام من البعد الانفعالي الوجداني للشخصية، وهي متصلة بالانفعالات اتصالا وثيقا ، بل إنّ تكرار الانفعالات وتجمعها حول موضوع معين يكوّن عاطفة الحب أو الكره أو الغيرة...."[99]

---

[97] نفسه، ص 54.

[98] نفسه، ص 68.

[99] عبد الله خمار، فن الكتابة، " تقنيات الوصف "، دار الكتاب العربي، الجزائر، نوفمبر 1998، ص 179.

فهي عبرت عن مدى كرهها لذاتها بعد معاشرتها للرجال و الكره هو حالة نفسية في قولها: " فأنا منذ الليلة التي ضاجعني فيها لودفيك كرهت نفسي، الحق أنني لم أكره نفسي كما الآن، ولكنني فعلا كرهت نفسي فقد استحممت لمدة ساعة في المغطس، ومضمضت فمي عشرين مرة..."[100]

فهذه المعاناة النفسية واستغلالها من طرف زوجها أثر على سلوكها في قولها: " ....فأنا لم أكره جسمي، إنّما احتقرت ذاتي لقد دنست من الداخل، أنا التي كنت أعتقد أنني أشبه مريم العذراء، تلك التي حبلت دون دنس "[101] فقد أحسّت أنّ كرامتها سلبت منها وكبريائها تحطمت.

وفي موضع سردي آخر تقول: " كل عضو في جسدي كان يؤلمني ولكن الألم الذي لم يبق لي ما يجعلني لأتمسك بالحياة كان ألم روحي " [102] . كلّما عاشرت رجلا أو اكثر أحست بالندم و بالألم الروحي.

ثم يبرز لنا الكاتب حالة نفسية أخرى و هي الحبّ الذي طغى على الرواية وكان له دور كبير في سير أحداثها في قول أدريان: " كان سيؤلمني لو غضب منّي، كنت أحبّه رغم كلّ شيء رغم أنه لم يكن يشعرني بجدوى ذلك الحبّ الذي أكنه له إلاّ أنني بقيت على حبّه أحاول أن أعيش به مدّة أطول، أو أستنشق بواسطته حياة أفضل...."[103]

عبّرت لنا عن حبّها لفيليب رغم أنّه لم يكن يبادلها نفس الشعور و رغم أنّه جعل حياتها مقرفة كلّما مرت لحظة من حياتها إلاّ و تمنت فيها الموت.

كما أنّ حبّها لنائل دفعها إلى تغيير ديانتها من المسيحية إلى الإسلام فهي قررت أن تفعل أيّ شيء فكلّ ما يهمها هو بقائها مع نائل ، ويلاحظ عندما سألها الشيخ هل هي مقتنعة بأن تغيّر دينها أم لا أجابته بكلّ سرعة دون تردّد في قوله: " أجابت بسرعة لم أتوقعها:

---

[100] محمد الأمين بن الربيع، قدس الله سرّي، ص 72.

[101] نفسه، ص 72.

[102] نفسه، ص 85.

[103] محمد الأمين بن الربيع، قدّس الله سرّي ، ص 82-83.

- أفعل أيّ شيء لأجل نائل:

لكن الشيخ تململ في مكانه مقطبا حاجبيه و أخبرها أنّ هذا الامر غير متعلق لا بنائل و لا بغيره بل هو يخصّ الله وحده، فإن لم تكن مقتنعة فلا إسلام لها لكنّها أكّدت له أنها مقتنعة...."[104]

وفي موضع سردي آخر يقول: " دخلت أدريان الإسلام من باب الحبّ "[105] ، فهي أعلنت شهادتها ونطقت بها دون أن تفكر حتى في عدم معرفتها لمعنى الإسلام.

عبّرت أدريان عن حبّها كذلك للشرق بصفة عامة وللجزائر بصفة خاصة هو ما جعلها تغيّر اسمها من " أدريان " إلى " شمس النهار "، فهي ترى فيها كل شيء يعطي للإنسان رغبة في الحياة، في قولها: " اسمي أدريان موريالك، شمس النّهار اسمي الذي قررت أن أحمله بعد أن أنزل إلى أرض الشمس، واحتضن رمالها ونخيلها وجمالها، وكلّ ما فيها من دفء ونبض يشير إلى أنّ في هذه الحياة ما يستحق أن نسميّه سببا للحياة "[106]

يكشف لنا الكاتب من خلال شخصية هذه الفتاة نوايا الآخر الفرنسي الذي احتلّ الجزائر طمعا في أراضيها وجمالها وخيراتها، فالجزائر بالنسبة للفرنسيين مكسب استعماري وبلد لتحقيق الأحلام من خلال امتلاكه.

تغيّرت نفسية أدريان من حالة حزن واستياء إلى حالة فرح وسعادة بعد زيارتها للجزائر وخصوصا بعد التقائها بنائل الشاب الجزائري الذي رات فيه كمال حريتها رغم الظروف التي كانت تمنعها وتمنعه، ولكنّها حرصت على ذلك، وهنا يتكشف لنا موضوع علاقة الجزائري بالفرنسي الذي يتخذ هوية جزائرية من أجل الحصول على امتيازات جزائرية، ولكن محاولة أدريان من أجل التقارب باءت بالفشل وانتهت بالفراق بسبب الاختلاف الثقافي و الحضاري الذي يفصل بينهما. وخاصة أنّها تنحدر من

[104] نفسه ، ص 142.
[105] نفسه، ص 143.
[106] محمد الأمين بن الربيع، قدّس الله سرّي ، ص 104.

مجتمع منطلق و متمرّد في قولها: " لم أندم على شيء ولم أستمتع بأمر فعلته مثلما استمتعت بعلاقتي معك، لأنني فعلت ذلك بمحض إرادتي بل وعن حب، لكن بدا لي اليوم أنني كنت مخطئة.... لقد اكتشفت أنني امرأة خلقت لتنطق وتعيش نزوات عابرة لا أصلح لأن أكون امرأة مقيدة لا أريد أن أخذلك أكثر...."[107]

عادت أدريان إلى نقطة الانطلاق التي اعتبرتها بداية حريّتها الحقيقية وهذا وجه فرنسا أثناء انهزامها أمام الجزائريين.

ثانيا: الآخر الاجتماعي:

يكشف لنا محمد بن الأمين في رواية" قدّس الله سرّي " الحالة الاجتماعية للفتاة الفرنسية أدريان مورياك "، و التي مثلت بدورها شخصية الفتاة البائسة المتشردة حاولت في العديد من المواقف البحث عن التحرر.

وكشفت لنا الرواية أنّ " أدريان " عاشت طفولة بائسة ينعدم فيها الحنان و الدفء فهي شبيهة بحياة اليتامى و المتشردين، وخاصة أنّ والديها تخلّى عنها لتنتقل إلى اسرة تتبناها و تدخله إلى عالم الرعب و الخوف وفقدان الكرامة باسم ماري تيريز فهي أسرة من طبقة البرجوازيين لكنها استغلّتها وجعلت منها عاهرة فخادمة في قولها: " فكّرت في أنّه يجب علي أن أنجب الكثير من الأطفال لأسدّ ذلك الفراغ الذي خلفه لي يتمي القصري في حياة والديّ، وكلّ تلك المآسي التي عشتها دون أن أجد أيّ شخص يواسيني..."[108]

[107] نفسه، ص 174.

[108] محمد الأمين بن الربيع، قدّس الله سرّي ، ص 103.

فحالة أدريان كانت حالة فقر و معاناة كبيرة في قولها: " لم نكن نملك دفع ثمن إقامتنا، كنت أضطر في أحيان كثيرة إلى غسل الأغطية أو تنظيف الغرف في تلك الفنادق التي لم يكن أصحابها يرضون بالوعود."[109]

وفي موضع سردي آخر تقول: " تذكرت أننا منذ ما يقارب الشهر و نحن نأكل الجبن و الخبز فقط، ونوعا رخيصا من النبيذ، حتى أنّني اشعر بأن لون الجبن قد انطبع على سحنتي فصرت أقرب إلى الصفرة، نسيت طعم اللّحم، ومذاق الحلوى...."[110]

فمن خلال هذه الأقوال يكشف لنا الكاتب الحياة الاجتماعية المزرية التي كانت تعيشها أدريان والتي انعدمت فيها أبسط الأشياء، وصل بها الفقر والحرمان إلى درجة أنّها كانت تعمل في الفنادق من أجل دفع ثمن الإيجار. أصبحت أدريان تكره كلّ ما عاشته محاولة التخلص منه بشتى الطرق حتى لا تبقى لها صلة تربطها به في قوله: "...كنت أفكر أنا في أيّ الأماكن يمكن لي أن أجد ضالتي، بعيدا عن الرطوبة الخانقة، إذا لم يكن هنالك بد من التفكير في وسيلة مجدية لقتل كل الارتباط المرضي مع كلّ ماضي، حتى وإن كان الإحساس بالرطوبة من حولي، كان علي قتل أدريان وإحراق كلّ أثوابها

و أفكارها ومسلماتها ومشاعرها السابقة وشهواتها وقرفها و نزقها وخنوعها... كان عليّ إحلال شمس النّهار محلها وإلاّ كانت رحلتي ستتحول إلى مجرّد قفزة فوق البحر."[111]

وتسرد أدريان معاناتها مع زوجها الذي جعلها عاهرة من أجل تسديد ديونه أو استئجار بيت يأويهم في قولها: " تلك اللّيلة رقصت، حين طلب منّي الرقص، وغنيت حين انتشى الزبائن فما انتبهوا إلى أنني نشزت أكثر مما أصبت طلب إليّ أحدهم أن أغنّي فامتنعت، شدّد علي ونادى على بنيامين، جاء الرّجل من بعيد يتوعدني، وفي أذني همس:

---

[109] نفسه، ص 77.

[110] نفسه، ص 80.

[111] محمد الأمين بن الربيع، قدّس الله سرّي ، ص 112.

أنت ملك هذا المكان الآن، تفعلين ما يطلبه الموجودون فيه دون توانٍ." [112] ففقرها وزوجها دفعاها إلى العمل في حانات الهوى من أجل كسب المال.

وبعد نزولها إلى أرض الجزائر غيّرت اسمها إلى " شمس النّهار " ويبيّن ذلك مدى حلمها بالحيرة و ربطها بالجزائر، هذه الحرية التي جعلتها تقطع صلتها بفرنسا وأكبر مثال على ذلك تغيير اسمها و تنسى المعاناة التي سببتها لها عائلة آل موریاك، تقول في موضوع سردي " حملت حقائبي ذات نوفمبر و خرجت من منزل آل موریاك أجر أحلامي الغضّة ،كنت أولد من جديد، رغم أنّه لم يعد لدي ما أعتد به، لا مال و لا منزلة اجتماعية، ولا أدنى مهمة بإمكاني شغلها، إلاّ أنني كنت أحسّ بالزّهو، وأنا اضع خطواتي خارج ذلك البيت..."[113]

ولكن هروبها من هذه العائلة أوقعها في حبّ فيليب أخو لودفيك، حيث تزوجها ورأى فيها عاهرة يمكن استغلالها فقد حوّلها إلى آلة لإشباع الرغبات في قوله: " لم أعد أنا هي أدريان تحولت إلى آلة لإشباع الرغبات، حتى إحساسي بكياني اضمحل بات الشيطان يسكنني، وصرت بلا قلب ولا إحساس، أفعل ما أفعله دون أن يرف لي جفن.."[114]

وهنا يكشف لنا الكاتب مدى انحلال المجتمع الفرنسي وفساده، كما أنّ حبّ ادريان للتصوير و تعلقها به جعلها تدخل حياة جديدة غير المأساوية التي كانت تعيشها في قولها:" اكتسبت روحا جديدة، دبّت داخلي في كلّ مرّة كنت أتوقف لأجهز الآلة لالتقاط صورة ما."[115]

كما أنّ أدريان كانت زوجة صالحة و مطيعة فقد كانت تقوم بكل ما يأمرها به رغم أنّه لم يكن الزوج المثالي في موضع سردي تقول:" ...كزوج يجب عليّ أن أكنّ له الاحترام على الأقل..."[116]

---

[112] نفسه، ص 115-116.

[113] نفسه، ص 72.

[114] محمد الأمين بن الربيع، قدّس الله سرّي ، ص 85.

[115] نفسه، ص 89.

[116] نفسه، ص 89.

أما من جانب المعتقدات فأدريان كانت مسيحية، كانت تستحضر قصة مريم في كلّ صلواتها طالبة منها الإغاثة و توجيهها إلى الصواب في قولها:

" يا مريم، يا أمنا الممتلئة بالنعمة، يا سيدة النور في هذا العالم، مدّي لي نور من نورك، لأقتبس منه، أنا الضائعة في هذا العالم الظالم، وسط حشود من التائهين أمثالي في ظلمات أنفسهم، أغيثيني يا عذراء، و أقري في قلبي أنّ ما اعيشه امتحان لتختبري محبي لك، يا أمّ المساكين و الضائعين، خذي بيدي إلى الدرب الصحيح، وجهيني بهذا الّذي لا يحيد من يهتدي به، ضعي في دربي أسباب الراحة، وباركيني يا سيدة المحبة و النّور.."[117]

فتظهر من خلال أقوالها متمسكة بدينها، وقد غيرت دينها من المسيحية إلى الإسلام، وكان هدفها من وراء زواجها بنائل هو أن يغفر الله لها كلّ أخطائها التي ارتكبتها في قولها: " رغم كلّ الرّهبنة التي تسكنني كراهبة كلّ همّها الوصول إلى الرّب مطهرة من الخطايا.."[118]

كما عبرت أدريان عن حبّها للرقص ومدى تأثيره فيها في قولها:

" و كلّما حاولت البحث عن السّر الذي يجعلني أعلو بالناي ينزلني البندير فأهتز أكثر و ألهث ثم أتعرق ثم أحس بجسدي وقد تحرر من ثقله و خطاياه و بقايا الرّجال الذين مرّوا عليه، ونزواتي السابقة، وماضيّ الأليم ودموعي التي اكتويت بها دون أن أجد من يمسحها أو يبرّد حرقتها و الأهم من ذلك أنّني تحرّرت مني و استسلمت له."[119]

فالرقص تفريج عن النفس و تحرير الجسد من الثقل من النزوات السابقة و الضغوطات التي عاشتها.

ويبرز لنا الكاتب نوايا المرأة الفرنسية في موضع سردي يقول:

---

[117] نفسه، ص 72-73.

[118] محمد الأمين بن الربيع، قدّس الله سرّي ، ص 96.

[119] نفسه، ص 131.

" نائل لقد ندمت على أشياء كثيرة في حياتي، أغلبها كنت أفعلها بضغوط خارجية ولم أندم على شيء ولم أستمتع بأمر فعلته، مثلما استمتعت بعلاقتي معك، لأنّني فعلت ذلك بمحض إرادتي، بل وعن حبّ لكن بدالي اليوم أنّني كنت مخطئة... لقد اكتشفت أنّني امرأة خلقت لتنطلق و لتعيش نزوات عابرة، لا أصلح أن أكون امرأة مقيدة، لا أريد أن أخذلك أكثر... أعتقد أنه يكفيني ما عشته معك لحد الآن".[120]

فهي امرأة جاءت تبحث عن الحرّية عند نائل لا عن الحبّ ولا الدّين و لما لم تجد في الجزائر ما تبحث عنه تخلّت عن نائل.

[120] نفسه ، ص 174

الخاتمة

خـا تـمـة :

بعد دراستي لموضوع الأنا والآخر في رواية " قدس الله سري " لمحمد الأمين بن الربيع توصلت إلى جملة من النتائج ولعل أبرزها ما يلي:

- ✓ أن محمد الأمين بن الربيع وظف التراث كإشارة للتمسك بالعادات و التقاليد الجزائرية، كما حاول إبراز عدة جوانب فنية و اجتماعية و ثقافية و دينية توحي إلى الثقافة الجزائرية.
- ✓ شخصيات الرواية أغلبها حقيقية مستنبطة من البيئة البوسعادية.
- ✓ الرواية تكشف الاختلاف بين البيئة العربية المحافظة والبيئة الفرنسية المنحلة أخلاقيا.
- ✓ صورت الرواية العلاقة بين الشرق و الغرب عن طريق المرأة التي مثلت فرنسا و الرجل الذي مثل الجزائر.
- ✓ حاول الكاتب إبراز العديد من الشخصيات و التي لها عدة رموز :
  - فشخصية أدريان التي جسدت صورة فرنسا التي لم تستطع التأقلم مع البيئة الجزائرية لأنها كان همها الوحيد هو الحرية.
  - شخصية نانا الضاوية و الأم جسدت صورة فرنسا التي تتصف بالطهارة و العفة و الأخلاق.
  - شخصية المرأة اليهودية التي جسدت صورة اليهود قدمها في صورة عاهرة منعدمة الصدق و الوفاء تتصف بالخيانة و الغدر.
- ✓ اعتمد الكاتب الصدق في وصف الأماكن البوسعادية و هي أماكن يستطيع المتلقي زيارتها شخصيا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم ، براوية ورش.

أولا: المصادر:

1 – محمد الأمين بن الربيع، قدس الله سري، دار الوطن اليوم، 2016.

ثانيا : المراجع:

1 – أحمد ياسين سليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، سوريا، ط1، 2009.

2 – عباس يوسف الحداد ، الانا في الشعر الصوفي (ابن الفارض أنموذجا)، دار الحوار للنشر و التوزيع، ط2، سوريا، 2009.

3 – إدوارد سعيد ، الاستشراق، تر: كمال ابو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط4، بيروت، لبنان، 1995.

4 – سيغموند فرويد، الأنا و الهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، ط4: عمان، الأردن، 1982.

5 – بشرى كاظم الحوشان الشمري، علم نفس الشخصية، دار الفرقان، عمان، الأردن، 2007.

6 – صلاح صالح، سرد الآخر (الأنا و الآخر عبد اللغة السردية) المركز الثقافي العربي، ط1ن الدار البيضاء، 2003.

7 – محمد الخيار، صورة الآخر في شعر المتنبي، نقد ثقافي، دار الفارس، ط1، بيروت، لبنان، 2009.

8 – ميجان الرويلي، سعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي: ط1، الدار البيضاء، 2003.

9 – عبد القادر شرشار، كتابة الآخر في الرواية العربية المعاصرة، مخطوط، 2003.

10 –عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط 01، 2005.

11 –محمود رجب، المرأة و الفلسفة، حوليات كلية الأداب، الحولية الثانية، جامعة الكويت، د–ط، 1981.

12 –جون بول سارتر، الكينونة و العدم (بحث في الأنطروبولوجيا الفنومينولوجية)، تر نقولا تيني، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت لبنان، 2009.

13 –عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، مج1، المؤسسة العربية، مصر، ط1، 1984.

14 –إيمانويل ليفانس، الزمن و الآخر، تر: منذر عياشي: دار نينوى، ط1، سوريا، دمشق، 2005.

15 –سالم معوش ، صور ة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط 1، بيروت، 1998.

16 –نور الدين إفاية " الغرب في المتخيل العربي "، منشورات دائرة الثقافة و الإعلام، الشارقة، أ ، ع، م، 1996.

17 – الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا و منظورا إليه، بيروت،مركز دراسات الوحدة العربية، 1999.

18 –ذكره مصطفى نبيل، في " العرب وعلاقتهم بالغرب " كتاب العربي" الغرب بعيون عربية"، نخبة من الكتاب، عدد 60، 15 أبريل 2005.

19 –حنان العلي، الأنا و الآخر: منتج ثقافي غربي، العدد 131، 2012 م.

20 –ابراهيم محمود عبد الباقي، الخطاب العربي المعاصر، عوامل البناء الحضاري في الكتابات العربية، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا ، الولايات المتحدة الأمريكية، ط 01، 1429هـ- 2008م.

21 –عبد الإله بلقزيز، دراسة في مقالات الحداثيين، إعداد مركز دراسات الوحدة العربي، ط1، 2007.

22 –عبد الله خمار، فن الكتابة " تقنيات الوصف "، دار الكتاب العربي، الجزائر، نوفمبر 1998.

ثالثا: المعاجم:

1 – ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، مج 1، د س.

2 – لويس معلوف، المنجد في اللغة و الإعلام، " دار المشرق و المكتبة الشرقية، لبنان، ط1، 1993، مادة (أنّ).

3 – معجم اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004.

4 – بسام بركة" معجم اللسانية، فرنسي عربي، منشورات جروس، باريس، ط1، 1985.

5 – عبد المجيد سالمي، نور الدين خالد: معجم مصطلحات علم النفس، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، دت- دط.

6 - إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، معجم اللغة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، 2004.

7 - أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط 3، بيروت، لبنان، 2004.

8 - ابراهيم مصطفى و آخرون، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2005.

9 - أحمد أبو حاقة، معجم النفائس، دار النفائس، لبنان، د-ت.

10 -الجوهري، معجم الصحاح، دار المعرفة، ط3، لبنان، 2008.

رابعا: المواقع الالكترونية:

1 - فيصل رشدي، الاستشراف عند إدوارد سعيد www.almothaqaf.com

2 - صفحة فايسبوك الكاتب محمد الأمين بن الربيع، " محمد الأمين بن الربيع "

الفهرس

الـفـهـرس

الموضوع	الصفحة
شكر و عرفان	
إهداء	
مقدمة	أ
الفصل الأول: الأنا و الآخر و ثنائية الشرق و الغرب	02
1 – مفهوم الأنا و الآخر	02
أ – مفهوم الأنا	02
أولا: التعريف اللغوي	02
ثانيا: التعريف الاصطلاحي	02
ثالثا: التعريف النفسي	03
رابعا : التعريف الفلسفي	04
ب – مفهوم الآخر	04
أولا: التعريف اللغوي	04
ثانيا: التعريف الاصطلاحي	05
ثالثا:التعريف الفلسفي	07
2 – الأنا و الآخر و ثنائية الشرق و الغرب	08
الفصل الثاني: محمد الأمين بن الربيع و روايته " قدس الله سري "	14
1 – ترجمة لحياة الكاتب	14
2 – تقديم عام لرواية " قدس الله سري "	15
أولا: ملخص الرواية	15
ثانيا: الشخصيات الرئيسية و الثانوية	17

ثالثا: تحليل عنوان الرواية	24
الفصل الثالث: تجليات الأنا و الآخر في رواية " قدس الله سري "	28
1 - تجليات الأنا في الرواية	28
أولا: الأنا النفسي	28
ثانيا: الأنا الاجتماعي	32
2 - تجليات الآخر في الرواية	37
أولا: الآخر النفسي	37
ثانيا: الآخر الاجتماعي	40
الخاتمة	46
قائمة المصادر و المراجع	48
الفهرس	

ملخص الدراسة:

لقد تضمنت هذه الدراسة موضوع الأنا والآخر في رواية " قدس الله سري "للروائي محمد الأمين بن الربيع، حيث تناولت عدة موضوعات أهمها، تحديد نظام العلاقات بين المجتمعات، حيث جعل الكاتب الأنا ممثلا للجزائر والآخر ممثلا لفرنسا، واختلافهم بعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم إذ أن هذا الاختلاف أدى إلى نشوء عدة صراعات بين الطرفين وعدم قبول وتعايش المجتمع الجزائري والفرنسي هذا الصراع الذي دلت عليه شخصية أدريان ونائل.

الكلمات المفتاحية:

الأنا– الآخر–الشرق– الغرب– الرواية– العلاقة.

Résumé de l'étude :
Cette étude incluait le sujet de l'ego et l'autre dans le roman "Que Dieu bénisse mon âme" du romancier Muhammad al-Amin ibn al-Rabi`, car elle traitait de plusieurs sujets, dont le plus important est la définition du système des relations entre les sociétés, où l'écrivain a fait de l'ego un représentant de l'Algérie et l'autre un représentant de la France, et leurs différences dans leurs coutumes, traditions et croyances. Cette différence a conduit à l'émergence de plusieurs conflits entre les deux parties et au manque d'acceptation et de coexistence de la société algérienne et française, ce qu'indiquait la personnalité d'Adrian et Nael.
les mots clés:
L'ego - l'autre - l'est - l'ouest - le roman - la relation.

Study summary: This study included the subject of the ego and the other in the novel "May God bless my soul" by novelist Muhammad al-Amin ibn al-Rabi`, as it dealt with several topics, the most important of which is defining the system of relations between societies, where the writer made the ego a representative of Algeria and the other a representative of France, and their differences in their customs, traditions and beliefs. This difference led to the emergence of several conflicts between the two parties and the lack of acceptance and coexistence of the Algerian and French society, which was indicated by the personality of Adrian and Nael.
key words: The ego - the other - the east - the west - the novel - the relationship.